آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة الثامنة عشرة، العدد الأول، الربيع و الصيف، ١٤٣٦ هـ .ق، ١١٧ – ١٣٨

دراسة أسلوبية لـ«قصيدة الحسين (ع) يا ابن الكرام» للشاعر المسيحي جورج زكي الحاج

علي‌اصغر ياري*

حميد أحمديان**

الملخص

«قصيدة الحسين (ع) يا ابن الكرام» من القصائد التي كُتبت في الإمام الحسين (ع) ومأساة عاشوراء، كما يوجد فيها ملامح من أدب المقاومة. هذه الدراسة عالجت قصيدة الحسين (ع) متبنّيةً المنهج الوصفي ـ التحليلي وبناءً على نظرية الأسلوبية الإحصائية. ضمن الدراسة في المستوى الصوتي بحثنا عن الأصوات المجهورة والمهموسة منها كما نعالج الأصوات الشديدة والرخوة التي الأصوات المجهورة والشديدة أكثر من المهموسة والرخوة وهذا يناسب الجو الملحمي للقصيدة. بالنسبة إلى المستوى التركيبي فركّز البحث على دراسة الجمل الفعلية والإسمية ودرس الأفعال الماضية والمضارعة عن طريق الإحصاء، والأفعال المضارعة المُوظَّفة في القصيدة تدل على خلود الإمام الحسين (ع) وحضوره في قلب الشاعر. وأما المستوى البلاغي فيتضمّن الاستعارة والتشبيه من جانب والطباق من جانب آخر. الصراع بين الأخيار والأشرار في القصيدة درسناها من خلال الدراسة في المستوى الصرفي وذلك عبر استخدام جموع القلة

* أستاذ مساعد بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الشهيد باهنر كرمان (الكاتب المسؤول)
ayari57@gmail.com
** أستاذ مساعد بقسم اللغة العربيّة وآدابها في جامعة اصفهان ahmadian1776@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٢/٢، تاريخ القبول: ١٣٩٤/٥/٧

والكثرة وضمير «هم» للأخيار والأشرار. كما توجد كمّية كبيرة من الضمير لمخاطبة الإمام الحسين (ع).

الكلمات الرئيسة: قصيدة الحسين (ع)، المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، المستوى البلاغي، المستوى الصرفي.

١. المقدمة

هناك إقبال واسع من قبل الشعراء المسيحيين في العصر الحاضر على الأدب الملتزم بحب أهل البيت عليهم السلام وأكثرهم اللبنانيون. ومن بين أهل البيت عليهم السلام حب الإمام الحسين (ع) أكثر ظهوراً في آثار هؤلاء الشعراء. جورج زكي الحاج أحد هؤلاء العباقرة الذين لديهم روائع من أدب الطّف.

هناك قواسم مشتركة بين تعاليم الإسلام والمسيح، متمثلة في شخصية الحسين (ع)، كما أن هذه النقاط تُعتبر تجسيداً للمسيح (ع) فجعل الشاعر المسيحي ينشد فيه أناشيد الحب الذي كان يتغناه للمسيح (ع).

١.١ منهج البحث وأسئلته

أهمية تحليل «قصيدة الحسين (ع) يا ابن الكرام» من جهة وأهمية التحليل الأسلوبي لهذه القصيدة من جهة أخرى حثّتْنا على تحليلها. تنتهج هذه الدراسة المنهج الوصفي ــ التحليلي وتتبنّى نظرية الأسلوبية الإحصائية للتّوصل إلى نتائج. ضمن هذا الإطار نحاول أن نجيب عن الأسئلة التالية:

١. ما هي الميزات البارزة لهذه القصيدة في المستوى الصوتي؟

٢. ما هي أهم الخصائص في المستوى التركيبي؟

٣. ما هي أهم الميزات في المستوى البلاغي؟

٤. وما هي الميزات لهذه القصيدة في المستوى الصرفي؟

٢.١ خلفيّة البحث

هناك كثير من الأبحاث والكتب حول الدراسات الأسلوبية منها ما يتعلّق بدراسات أسلوبية في *القرآن الكريم* ومنها ما يتعلق بدراسات في بعض الأشعار نحو ما يلي:

ـــ دراسة أسلوبية في سورة «ص» للدكتور نصرالله شاملي وسمية حسنعليان، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، السنة الرابعة عشرة، العدد الأول.

ـــ دراسة أسلوبية في سورة الكهف، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة النجاح الوطنية للباحث مروان محمد سعيد عبدالرحمن، عام ٢٠٠٦ م.

ـــ لغة الشعر عند الصعاليك قبل الإسلام دراسة لغوية أسلوبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة بابل للباحث وائل عبدالأمير خليل الحربي، عام ٢٠٠٣ م.

كما رأينا تناولت هذه البحوث دراسات أسلوبية في غير المجال الذي نحن بصدده، وأما بالنسبة إلى الدراسة حول هذه القصيدة فقلّبنا صفحات البحوث والكتب فلم نجد شيئًا حولها إلا أنّ هناك بحثين: الأول تحت عنوان «الانتماء إلى لُعبة التوحيد الرقميّ دراسة لغوية حول قصيدة الحسين (ع) يا ابن الكرام» من **أديب زخيا سيف**. تطرّق الباحث من خلال بحثه إلى اللعبة العددية مع إحصاء بعض المفردات والرموز و لم يأت فيه شيءٌ من الأسلوبية والأسلوب. والثاني من **أقدس بهزادي پور** تحت عنوان النبي (ص) وأهل البيت عليهم السلام في مرآة أدب المسيحيين المعاصرين ضمن رسالة الماجستير في جامعة «شهيد چمران أهواز»، والتي تقوم الباحثة من خلالها بتحليل بسيط لهذه القصيدة، غير مهتمة بدراسة أسلوبية.

٢. تعريف الأسلوبية

«ورد على كلمة Style (أي أسلوب) كثيرٌ من المعاني، حتى صار من الصعب تحديدها بتعريف واحد وهذا راجع إلى أن هذه الكلمة لا تخصُّ المجال اللساني وحده، بل استعملت في مجالات أخرى عديدة من مجالات الحياة اليومية والفنّ: يُتحدث عن الأسلوب في الموضة، والفنّ والموسيقى، وتدبير الحياة، وفي المائدة والسياسة ... إلخ (بليت، ١٩٩٩: ٥١).

هذا بالنسبة إلى الأسلوب بشكل عام وأما بالنسبة إلى الأسلوب في الأدب والنقد «فمنذ الخمسينات من القرن العشرين، أصبح مصطلح الأسلوبية يطلق على منهج تحليلي للأعمال الأدبية؛ يقترح استبدال الذاتية والانطباعية في النقد التقليدي بتحليل موضوعي أو علمي للأسلوب في النصوص الأدبية. والأسلوب يعرف وفق الطريقة التقليدية بالتمييز بين مايقال في النص الأدبي؛ وكيف يقال، أو بين المحتوى والشكل» (الخفاجي، ١٩٩٢: ١١).

وكذلك قال بير جيرو في كتابه «أسلوبية»: الأسلوب ـــ من كلمة Stilus، أي مثقب يستخدم في الكتابة ـــ هو طريقة في الكتابة وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدّد معنى الأشكال وصوابها (جيرو، ١٩٩٤: ١٧).

نلاحظ في كلّ التعاريف التي تقدّمت أن الأسلوبية هي علماء الأسلوب يعرّفون هـــذا العلم بكيفية استخدام اللغة خاصة في المستويات الثلاثة التي أشرنا إليها في ما ســـبق مـــن القول وذلك لإثراء القول وبيان التأثير على السامع.

للأسلوبية اتجاهات ومناهج عديدة منها التعبيرية والبنائية والإحصائية والانزياح وغـــير ذلك من المناهج وأما بالنسبة إلى الأسلوبية الإحصائية التي نتّبعها في بحثنا هذا فإنّها ـــ كما يبدو من اسمها ـــ تعتمد على الإحصاء للتوصل إلى الدلالات الكامنة في النص.

٣. نبذة عن الشاعر وقصيدته

أبصر النّور في قرية إيعات اللبنانية ثمّ انتقل إلى مدينة بعلبك ليكمل الدراسة المتوسطة فيها ثمّ دخل المرحلة الثانوية وبعد إكمال الثانوية دخل كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية في بيروت وبعد فترة وجيزة، قرّر الإنتقال إلى كلية الآداب بسبب حبّـــه وشـــغفه للأدب وتخرّج من هذه الكلية برتبة ماجستير في اللغة العربية وآدابها. ثمّ دخـــل جامعـــة «القديس يوسف» حيث واصل دراسته فيها وتخرج منها برتبة الدكتوراه في الأدب العربي.

أحبّ الحاج الإمام الحسين (ع) منذ نعومة أظفاره لأنّه نشأ في مدينة تسكنها غالبية من محبّي آل البيت عليهم السلام حيث انخرط مع أبنائها وشارك معهم في حضور مجالس التعزية

الحسينية التي كانت تقام في شهر محرّم الحرام. وهذا الأمر جعله متأثّرًا بالقضية الحسينية تأثّرًا بالغًا ممّا جعله أن يكون مؤمنًا بمبادئ الثورة الحسينية (زميزم، ٢٠١٢: ١١٢).

تستهل القصيدة بخطاب الشاعر للإمام الحسين (ع) معتذرا إياه ثم يتبع الشاعر متحدّثًا عن بطولة الإمام الحسين (ع) والذين استشهدوا معه في أرض الطف، وبعد ذلك يتطرق إلى قضية هامة عند الشاعر وهي قضية فلسطين واحتلالها؛ كان الشاعر ناجحًا في الربط بين ثورة كربلاء وانتفاضة فلسطين، هذا ونرى الشاعر بين الفينة والفينة يتحدّث عن لبنان ومقاومتها أمام الكيان الصهيوني، ويرى الشاعر أنّ مقاومة جنوب لبنان وصمودها هي اتّباع منهج الإمام الحسين (ع) في كربلاء.

من الخصائص البارزة لهذه القصيدة هي خطاب الشاعر للإمام الحسين (ع) و كربلاء وتكوين المثلث الثوري الذي تتكوّن أضلاعه من ثورة الإمام الحسين (ع)، وانتفاضة فلسطين، ومقاومة جنوب لبنان.

٤. عرض الموضوع

في هذا المقال ضمن المستوى التركيبي سندرس الجمل من حيث الإسمية والفعلية، كما نعالج عدد تواتر الأفعال الماضية والمضارعة وفعل الأمر. في المستوى التركيبي عادة تُدرس الظواهر النحوية التي تطغى على ظواهر أخرى. على سبيل المثال نلاحظ في هذه القصيدة كميّة كبيرة لأسلوب النداء، بما فيه ينادي الشاعر الإمامَ الحسين (ع) أو كربلاء وهذا الأسلوب يطغى على باقي الأساليب مثل الشرط، أو الاستفهام، والعرض، والتحضيض.

ندرس في المستوى البلاغي ظاهرة الطباق وظاهرتي التشبيه والاستعارة ودلالة كل واحدة منها في هذه القصيدة.

أما بالنسبة إلى المستوى الصرفي فنركّز من خلاله على تكرار المفردات المتواترة في هذه القصيدة نحو تكرار ضمائر الجمع وتكرار جموع القلة والكثرة منها، كما يتم التركيز على إحصاء الكلمات التي تدل على الشمولية مثل: كل وكم والكلمات الدالّة على الوطن والشجاعة مثل الأرض والبطل.

١.٤ المستوى التركيبي

قال الباحثون في مجال علاقة النحو بالأسلوبية «ليس الوصف النحوي جامدًا خاليا من الدلالة؛ إذ إن الوصف النحوي وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها بالبعض الآخر» (عبد اللطيف، ٢٠٠٠: ٤٠).

١.١.٤ دراسة الجمل

«إن الجملة لا بد أن تفيد معنى ما، وإلا كانت عبثًا. فلو رتبت كلمات ليس بينها ترابط يؤدي إلى إفادة معنى ما لم يكن ذلك كلامًا» (السامرائي، ٢٠٠٠: ٧).

ربما تبادر إلى الذهن أن الأسلوبية النحوية تتركز في الحذف ومخالفة الترتيب ولكن هناك غيرهما من الأنماط النحوية ومن خير ذلك استخدام الجمل الاسمية أو الجمل الفعلية (جبر، ١٩٨٨: ١٩).

تقسيم الجملة إلى الفعلية والاسمية يسهّل لنا الطريق لنحصي الجمل في «قصيدة الحسين (ع) يا ابن الكرام» وهو وظّف كلا النّوعين من الجمل ولكن نسبة شيوع الجمل الاسمية أكثر من الفعلية.

الجدول الأول: تواتر الجمل الاسمية والفعلية

الجملة	عدد التواتر	النسبة المئوية
الفعلية	٣٧	٣٢/٧٤
الاسمية	٧٦	٦٧/٢٦
المجموع	١١٣	٪١٠٠

كما نلاحظ نسبة تواتر الجمل الاسمية أكثر من الفعلية ضعفين ومشهور أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت بدون نظر إلى تجدّد واستمرار. قد يقصد الشاعر بهذه الجمل واستخدام الخبر المفرد للجمل الاسمية ثبوت ما يجري في خلجات صدره من سرد مأساة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (ع). ومن هذه القضايا الثابته كما يشير إليها الشاعر هو: ثورة الإمام الحسين (ع)، وخلوده، والمدرسة الحسينية، وظلم الطغاة والجبابرة في كل عصر.

ومن بين الجمل الفعلية تُعتمد على الفعل المضارع أكثر من الماضي وأما بالنسبة إلى فعل الأمر فقليل جدّا:

الجدول الثاني: تواتر الأفعال

الأفعال	عدد التواتر	النسبة المئوية
الماضي	٤٩	٤١/٨٨
المضارع	٦٧	٥٧/٢٦
الأمر	١	٠/٨٦
المجموع	١١٧	٪١٠٠

«ترجع أهمية الإحصاء إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية، وبين السمات التي ترد في النص ورودًا عشوائيًا» (مصلوح، ١٩٩٢: ٥١).

مع أنّ هذه القصيدة ترتبط بالإمام الحسين (ع) ومأساة كربلاء ولكنّ الشّاعر لا يكتفي برواية ثورة كربلاء فقط وإلّا كان يوظّف الأفعال الماضية لسرد الأحداث. وردت الأفعال المضارعة لتدلَّ على زمن التجدد المستمر وما يسترعي انتباهنا في هذه القصيدة أن الشاعر حاول أن يربط بين ثورة عاشوراء وبين ما يعاني منه الشعب اللبناني والفلسطيني من الظّلم والاحتلال وسكوت الأمة العربية أمام هذا الظلم. وسنشير إلي هذا الأمر فيما يلي.

٢.١.٤ الفعل المضارع

بما أن الفعل المضارع هو الذي يطغى على النوعين الآخرين يعني الفعل الماضي وفعل الأمر حيث ورد ٦٧ مرة مقابل خمسين مرة (٤٩ و ١) فنأتي في هذا القسم ببعض الأفعال المضارعة لنرى كيفيتها في الدراسة:

فتى الشّهادة جئتُ اليوم أعتذر/ فيك الشّعرُ يختمر/ منكَ القوافي بلفحِ القُدسِ تأتزرُ/ حسينٌ ببال الله تُذّكَرُ/ عطرُ الألوهة في ريّاكِ يَنتشِرُ/ واليومَ يسقي الثرى حبًّا زكيٌّ دمٍ/ في وجه غازٍ أمام الحقِّ يَندَحِرُ/ يا كربلاء سلامٌ نحن نُرسِله/ مرحى حسينٌ، هم الأحفادُ وِقفَتُهُم تُبقيك حيًّا وفي الأكبادِ تُحتَفَرُ/ أراكَ في السّاحة الكبرى كما بطلٌ/ يُمناكَ ترفعُ

سيفَ الحقّ ... تشهرُهُ أمّا الكتابُ ففي يُسراكَ ينشهر/ وأنتَ تبقى على الأيّام قاطبةً/ (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٦).

توظيف الأفعال المضارعة بهذه الكثافة يسترعي انتباهنا ويوجّهنا إلى فكرة خلود الإمام وثورته عند الشاعر حيث يعتذر الشاعر من الإمام (ع) لتأخّره في وصف مأساة كربلاء ثم يصفه بالبقاء والحضور في قلوب الأحرار والأبطال إذ إن الإمام الحسين (ع) رافع سيف الحق مستمرًّا طريق جده (ص) في تبليغ *القرآن الكريم* وكل هذه الأمور من معالم توظيف الأفعال المضارعة في هذه القصيدة «وهكذا يصلح الفعل للحدث الذي يتجدد لحظة بعد لحظة، أو لنقل التعبير عن الحدث المتحرك في النفس، ويستطيع الشاعر أو الأديب إذا أجاد استغلال الفعل المضارع في نظم عبارته أن ينقل جو الحدث والتصور المتجدّد به» (درويش، د.ت: ١٥٢) ويبدو أن الشاعر ناجح في مجال استخدام الأفعال المضارعة والدلالات التابعة لها.

٣.١.٤ النداء

نعالج في هذا القسم أسلوب النداء في القصيدة ونقوم بإحصاء تواتر النداء في القصيدة وننحو نحو السبب لهذا التراكم. والدرس الأسلوبي يتخذ وسائل تقرّب أحكامه من الموضوعية وتعين على تحقيق غايته، من أهمها: استخدام الإحصائيات في صور مختلفة، ما بين رصد عددي مجرّد لمرّات شيوع ظاهرة بعينها، وقياس نسب الظاهرات إلى قدر معيّن من النتاج اللغوي الأدبي بطرق إحصائية يسيرة أو مركّبة (جبر، ١٩٨٨: ٦) بعد قراءة هذه القصيدة نلاحظ أن أسلوب النداء يتكرّر أكثر من العادة إذ كرّر الشاعر هذا الأسلوب عشر مرات في ستين بيتًا يعني سُدُس الأبيات وهذا ليس بقليل. ومن هذه العشرة خاطب الشاعر ٣ مرات كربلاء وفي السبعة الباقية نادى الإمام الحسين (ع):

فتى الشهادةِ جئتُ اليومَ أعتذرُ/ ثَراكَ يا كربلاءُ كمْ لفَّه عَبَقٌ/ يا كربلاءُ سلامٌ نحن نُرسله/ يا كربلاءُ رياحُ الظُّلمِ إن لَفَحَتْ/ إيهٍ حسينٌ ببالِ اللهِ تُذَكَّرُ/ مَرحى حسينٌ، همُ الأبناءُ طَلَّتُهُم/ مرحى حسينٌ، همُ الأحفادُ وقفَتُهم تُبقيكَ حَيًّا/ يا ابنَ الكرامِ لماذا الحقُّ مغتَصبٌ/ يا ابنَ الكرامِ دروبُ الظُّلمِ حالِكَةٌ/ إيهٍ حسينٌ وذكراك التي حُفِرتْ في القَلبِ (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٥).

استهل الشاعر قصيدته بندائه للإمام الحسين (ع) بعبارة «فتى الشهادة» دون أداة نداء اختصارا لان المنادى معلوم مشهور، وقريب من الذهن، ومن ناحية أخرى اعترف الشاعر بفتوّة الإمام أولا وشهادته ثانيًا، ونلاحظ أن الشاعر خصّص النداء للإمام الحسين (ع) من جانب ولكربلاء من جانب آخر ومن المؤكد أن الشاعر لا يقصد مدينة كربلاء التي ابتنت من الحجر والخشب والحديد، إنما يريد أن يشير إلى مدرسة كربلاء التي أسّسها الإمام بعد شهادته في طريق الحرّية والدفاع عن الحق حيث نادى الشاعر كربلاء لـتُعلِّم المظلـومين الأحرار، مبادئ الحرية والثورة على الظلم.

الشاعر في هذه الأبيات طورًا ينادي الإمام ليشتكي إليه من الحق المغتَصَب أو من الظلم الذي يجري على المظلومين في لبنان وفلسطين وطورًا يمدح الأحرار وشباب المقاومة الذين يستلهمون النهضة الحسينية في الثورة على الظّلم والصمود أمام الكيان الصـهيوني. كمـا يكون في هذا الأمر ـــ يعني تكرار النداء ـــ دلالةً على خلود الإمام وثورته ضد يزيد. لأنّ الإمام الحسين (ع) ولو بعُد على صعيد الواقع لكنّه حاضر في قلب الشاعر.

٢.٤ المستوى الصوتي

١.٢.٤ جهر الأصوات وهمسها

تنقسم الأصوات إلى القسمين الأول: جهر الأصوات والثاني همسها. إن انقبـاض فتحـة المزمار وانبساطها عملية يقوم بها المرء في أثناء حديثه، دون أن يشعر بها في معظم الأحيان. وحين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار، ولكنها تظل تسمح بمرور النفس خلالها، فإذا اندفع الهواء خلال الوترين في هذا الوضـع يهتزّان اهتزازًا منتظمًا، وعلماء الأصوات اللغوية يسمّون هذه العمليـة بجهـر الصـوت وعكس الجهر في الاصطلاح الصوتي هو الهمس. فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به والمراد بهمس الصوت هـو سـكون الوترين الصوتيين معه» (أنيس، د.ت: ٢١ و ٢٢).

«والأصوات المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هـــي ثلاثـــة عشر: ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن يضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو والياء. في حين أن الأصوات المهموسة هي اثنا عشر: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، ه» (المصدر نفسه: **٢٢**).

الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية مجهورة ونسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخُمس أو عشرين في المائة في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون مـــن أصوات مجهورة (المصدر نفسه: **٢٣**) عدد تواتر الأصوات المجهورة في قصيدة الحسين (ع) **١٠٠٧** يعني **٦١** بالمئة بينما نسبة تواتر المهموسة منها **٦٣٧** يعني **٣٩** بالمئة. فضمن هـــذا الإطار نلاحظ أن الأصوات المجهورة تناسب الهيكل العام للقصيدة، إذ إنها ملحمية ثوريّـــة والشاعر عبر هذه الأصوات يدعو الأبطال العرب إلى الثورة على الظلـــم. كمـــا اختـــار الشاعر حرف «الراء» للقافية الشعرية وهذا الحرف من الحروف المجهورة وهي أيضا تلائم الجوّ الملحمي للقصيدة.

٢.٢.٤ شدة الأصوات ورخاوتها

إضافة إلى تقسيم الأصوات إلى المجهورة والمهموسة هناك تقسيم آخر يقسّم الحروف إلـــى الشديدة والرخوة.

«الصوت الشديد هو الذي يحدث في نطقه المنع أي منع النفس عنه، ثم ينطلق الهـــواء (الصوت) محدثا انفجارا بعد الوقفة أو المنع» والأصوات العربية الشديدة كمـــا تؤيـــدها التجارب الحديثة هي: ب ت د ط ض ك ق» (بشر، ٢٠٠٠: ١٧٧).

أمّا الأصوات الرخوة فهي التي «لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسا محكمـــا وإنّمـــا يكتفي بأن يكون مجراه ضيّقا. ويترتّب على ضيق المجرى أنّ النفس في أثناء مروره بمخـــرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى ... و هـــذه الأصوات يسمّيها المحدثون بالأصوات الاحتكاكيّة (Fricatives) و على قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته. فالأصوات الرخوة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي مرتّبة حسب نسبة رخاوتها: س ز ث ص ش ذ ظ ف ه ح خ غ (أنيس، د.ت: **٢٦**).

الجدول الثالث: نسبة تواتر الأصوات الشديدة والرخوة

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات الشديدة	٤٦٣	٪٥٣/٢١
الأصوات الرخوة	٤٠٧	٪٤٦/٧٩

الأصوات الشديدة تلائم موضوع القصيدة أكثر من الأصوات الرخوة إذ إن القصيدة تتمحور حول الجهاد والمقاومة والدعوة إلى الثورة.

٣.٢.٤ تواتر الأصوات ودلالتها

بعد كل هذه التفاصيل حول جهر الأصوات وهمسها وشدتها ورخاوتها نلقي نظرة على الحروف التي تتواتر أكثر من الحروف الأخرى ومن خلال الإحصاء الشامل للحروف في القصيدة يتبين لنا أن هذه الحروف من أكثرها تكرارًا في القصيدة:

الجدول الرابع: تكرار الحروف

ا	ب	ر	ك	ل	م	ن	ي	ت	ه
١٩٣	١٠٦	١٦٢	٨٣	١٧٧	١٧١	١٧٩	١٣٩	١١٥	٩٧

إذا تركنا حرفي «ه ت» جانبًا نستغرب حينما نرى أن هذه الأحرف هي التي تكوّن عنوان القصيدة يعني «يا ابن الكرام» ويزيد الأمر استغرابًا حينما نرى أنّنا يمكننا أن نصنع من هذه الأحرف أيضًا كلمتي «كربلاء» و«لبنان». وهاتان الكلمتان من الكلمات التي ركز عليهما الشاعر في هذه القصيدة، وأشرنا في غير هذا الموضع أن الشاعر حاول أن يربط علاقة بين ثورة كربلاء والمقاومة أمام الكيان الصهيوني. نكاد نجزم بأن الشاعر عمد إلى هذه اللعبة الحرفية ولكننا نغض النظر عن هذا الأمر ونشير إلى الصدفة الرائعة التي جرت على هذه القصيدة وأضفت عليها روعةً وجمالًا.

٣.٤ المستوى البلاغي

«قد تابع القدماء أفكار عبد القاهر في صياغة الأسلوب، وقسّموا البلاغة إلى ثلاثة فنون:

المعاني، والبيان، والبديع وهم في ذلك كلّه يبحثون مع عبدالقاهر في الأساليب والفروق بينها، وبلاغة كل أسلوب وخصائصه» (الخفاجي، ١٩٩٢: ٧).

قال الجرجاني في أسرار البلاغة عن التشبيه والاستعارة: هذان الاثنان من أصولٍ كبيرةٍ، كأنَّ معظم محاسن الكلام ــ إن لم نقل: كلَّها ــ تتفرّعُ عنهما وترجع إليهما، وكأنهما قطبان تدور عليهما المعاني في متصرّفاتها (الجرجاني، د.ت: ٢٧).

لم نُسَمِّ هذا المستوى المستوى الدلالي وإنّما سمّيناه المستوى البلاغي لأننا قمنا عبره بدراسة الطباق وهي صنعة بديعية. مع أنّ معظم الباحثين في مجال الدراسات الأسلوبية يميلون إلى معالجة التشبيه والاستعارة في النصوص المدروسة، لأنّهما من مباحث علم البيان ويبحثان عن الدلالات الكامنة وراء النص ولكنّنا أشرنا إلى الطباق لأنّ له فضلًا كبيرًا في إيتاء الجمال والروعة لهذه القصيدة. جمعنا كلّ هذه الظواهر الثلاثة في جدول واحد، ولكنّنا لا نقصد مقارنة كل واحدة منها ببعض، إنّما نقوم بإحصاءها لتبيين عدد تواترها في القصيدة:

الجدول الخامس: تواتر الطباق، والتشبيه، والاستعارة

	عدد التّواتر
الطباق	١٤ مرة
التشبيه	٥ مرات
الاستعارة	٧ مرات

١.٣.٤ الطباق

تدور مباحث البديع في مستويَيْن: أحدهما المستوى السطحيُّ الذي يختصُّ بالناحية المحسوسة من النطق، التي تظهر من اللسان ثم تمرّ إلى السّامع عبر أذنه كالجناس والسّجع والازدواج. والآخر يتمثل في المستوى الأعمق، أو ما يمكن تسميته بالنطق الفكريّ، وهو الذي يتصل بالفصاحة المعنوية كالطباق والمقابلة والتورية (عبدالمطلب، ١٩٩٤: ٢٦٦) من بين الصور البديعية التي تسترعي انتباهنا في هذه القصيدة وأكثر الشاعر من توظيفها حتى يكاد يطغى على الصور البيانية هي الطباق. والطباق أوالمطابقة في اللغة أن يضع البعير رجله في موضع يده وفي الاصطلاح الجمع بين معنيين متقابلين سواء تقابل التضاد أو

الإيجاب أو تقابل التضايف كالأبوة والبنوة وسواء كان ذلك المعنى حقيقيًا أم مجازيًا (علّام، ١٩٩٧: ١٦٢) واستفاد الشاعر من هذا المحسّن البديعي ١٤ مرة في القصيدة:

ترب ≠ ذهب/ الصغيرة ≠ الكِبَر/ عاشت ≠ ماتوا/ الخير ≠ الشر/ أشرف ≠ محتقر/ الجبان ≠ البطولات/ عُشب الصخر ≠ الزَّهر/ عقم ≠ الثمرُ/ الأشراف ≠ المفسدون/ الأحكام جائرة ≠ قوس العدالة/ إن آمَنوا ≠ جحدوا/ إن واعدوا ≠ نكروا / يُمناك ≠ يُسراك/ تبقى دهورا ≠ يندثر.

ويمكننا أن نجمع أكثر هذه الطباقات تحت مجموعتي الأخيار والأشرار نحو: الخير والشر، أشرف ومحتقر، الجبان والبطولات، والأشراف والمفسدون، الأحكام الجائرة وقوس العدالة، الإيمان والجحد. ولا نقصد بالشّر هنا الشّر المطلق، إنما نقصد مقابل الخير يعني غير محبوب. يمكن النظر إلى الطباق في هذه القصيدة من جانبين: الجانب الأول هو الجمال الذي تؤتي هذه الظاهرة للنص الشعري والجانب الثاني هو الدلالة التي تكمن في التقابل بين الخير والشر من خلال الطباق. إذن ظهر الطباق في الشكل والمضمون؛ بالنسبة إلى الشكل فهو ظاهر القصيدة، أما بالنسبة إلى المضمون فهو مغزى القصيدة التي نرى الشاعر بصددها وهي تقابل الظالم والمظلوم أو الثائر والجائر في زمنين اثنين، زمن الإمام الحسين (ع) وفي عصرنا الراهن.

٢.٣.٤ الاستعارة

إذا كانت عملية الإخبار، علّة الحدث اللساني أساسًا فإنَّ غائية الحدث الأدبي تطغى على الإبلاغ ومتّجهةً نحو الإثارة و تأتي الأسلوبية بدراسة الخصائص اللغوية لتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية (المسدّي، ١٩٨٢: ٣٥ و ٣٦).

قلّما نجد نصًّا شعريًا خاليًا من ملامح البيان البلاغي ومن أكثرها الاستعارة. قصيدة الحسين (ع) لجورج زكي الحاج أيضا لا تستثني عن هذه القاعدة إذ إن الشاعر يتجه نحو جماليات الاستعارة بما فيه من التأثير في المعنى والمبنى فضلًا عن إضفاء الجمال للنص الشعري. فالاستعارات الموظّفة في هذه القصيدة يمكننا أن نراها من خلال الأبيات التالية:

كاد الطِّرسُ ينتَحِرُ/ فينبت العزُّ أطفالا/ كوفيةً من فلسطين التي ذُبِحَـــتْ/ طفـــلٌ وفي مُقلتيه النصرُ مُرتسِمٌ/ تبقى بلادي منارَ الشرقِ، تُرشِدُهُ/ والحَقُّ يُنحَرُ/ والأرض تهتف باسم الله باسمةً (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٣).

المعنى المسيطر على هذه العبارات الثورة والمقاومة أمام الطغـــاة الجبـــابرة، ومعظـــم الاستعارات التي وردت في هذه القصيدة مكنيّة، فالصورة الأولى التي نلاحظهـــا انتحـــار الطِّرس أي الكتاب لأنّه لا يحتوي على ذكر الإمام الحسين (ع) في طيّاته ثم تطرّق الشاعر إلى المقاومة التي تجري في فلسطين ولبنان حيث عبّر عن عزّة أطفال فلسطين واستعار لهـــم النموّ كالنباتات في البيئة إذ إنّ الله سبحانه وتعالى أعزّهم بســـبب المقاومـــة، وفي هـــذا المضمون نلاحظ استعارة الذبح لفسطين و لم يوظّف الشاعر الدمار أو القتل أو كلمـــات أخرى لأنّ الذبح أكثر تأثيرًا على القارئ، ويستمرّ الشاعر متحدّثا عن المقاومة في فلسطين ولبنان مشيرًا إلى وطنه لبنان فاستعار صفة الإرشاد إذ إنها تقوم بإرشاد البلـــدان العربيـــة الأخرى؛ كما تحدّث عن نحر الحق من قبل الظالمين، واستعار الهتاف للأرض لأنّها تهتـــف بسم الله حينما يستشهد المجاهدون في سبيل الدفاع عن وطنهم.

وهكذا رأينا أن الاستعارة وردت ٧ مرات في القصيدة، مع الدلالات الكامنة وراءهـــا لتشجّع الشباب اللبنانيين والفلسطينيين على المقاومة، خاصة أن الأبيات المشارة إليها كلّها تتمحور حول المقاومة والوطن.

٣.٣.٤ التشبيه

عرّف علماء البلاغة التشبيه بأنّه «الدلالة على أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه، وبتعريف التشبيه بذلك خرجت المشاركة في عـــين، نحو اشتراك زيد وبكر في الدار فإنّه لا يسمى تشبيهًا» (الهاشمي، د.ت: ٢١٩).

التشبيه من العناصر الضرورية للأثر الأدبي ليؤثّر على المتلقّـــي ويجـــرّه نحـــو الجمـــال والبلاغة. والشاعر جورج زكي الحاج طورًا يشبّه صورة دموعِ طفلٍ وقف باكيًـــا علـــى دمار الأرض المحتلّة بصورة نديٍ بدأ يظهر على الأزهار حينما يطلع الفجر:

طفلٌ و في مقلتيه النصر مرتسمٌ بينَ الدّموع، كما الأنداءُ والسَّحَرُ

(الحاج، ٢٠٠٦: ١٥)

والخصيصة الأساسية لطلوع الفجر ذهاب الظلام و مجيء النور والشاعر وظّف هذا التمثيل في خير مكان إذ شبّه انتصار الشعب الفلسطيني على الاحتلال الصهيوني بطلوع الفجر وهو متجسّدٌ في عيون الطفل الفلسطيني.

وطورًا آخر يشبّه الأيام بإنسان نسي كلَّ ما فعل عملاء العرب والخونة في حق اللبنانيّين والفلسطينيين في السكوت أمام همجيّة الكيان الصهيوني:

كأنّ ذاكرةَ الأيّامِ غافلةٌ عن كلِّ ما فعلوا ... أو كلّ ما هَدَروا

(المصدر نفسه: ١٨).

وهذه أكثر ما يعاني منه الشعب الفلسطيني في مواجهة العدو الغاشم.

ويشبّه الجبان بعشب الصخر وفي المقابل يشبّه الإمام الحسين (ع) بالأسد وأعداءه بالذّئاب:

يبقى الجبانُ كعُشبِ الصّخرِ، في عقمٍ أمّا البطولاتُ فَهيَ الزَّهرُ والثَّمَرُ...!

وقفتَ بينَهم، كاللّيث مُنتهِرًا مَرحًى بموتٍ لَمجْدِ الدّينِ يَستَعِرُ

وَهُم ذئابٌ، طواها الجوعُ من زَمَنٍ كما الكواسرُ، عندَ الموتِ تنتَظِرُ

(المصدر نفسه: ١٩ و ٢٢)

وهذه التشبيهات الثلاثة هي قمة المعنى لما يدور في خلجات صدر الشاعر من الإحساس والاعتقاد بالنسبة إلى مأساة كربلاء وكربلاء اليوم التي هي لبنان وفلسطين، كما تقدّم في الاستعارة جاءت التشبيهات في نفس المعنى أي فيما يتعلّق بشجاعة الأحرار وجبن الأعداء حيث ركّز عليها الشعراء الذين كتبوا عن الإمام الحسين (ع) وخاصة الشاعر جورج زكي الحاج، وأضفت هذه التشبيهات جمالًا على الأبيات إضافة إلى ذلك تُغنيها من جهة التأثير في المتلقّي، خاصة أن هذه الثلاثة من التشبيهات الحسّية وسهل على القارئ إدراكها.

٤.٤ المستوى الصرفي

إن التطرق إلى الجانب الصرفي في دراسة الأسلوب في نص ما أو قصيدة ما يكشف عن الإمكانات التي تحملها الصيغ في استعمالات الأدباء ومبلغ توافقها مع ما يقرره علم الصرف (جبر، ١٩٨٨: ٧) والمعاني الصرفيه قد ترجع إلى الإفراد وفروعه، كما ترجع بعضها إلى التكلّم وفروعه (حسان، ١٩٩٤: ٣٦).

١.٤.٤ الضمائر

في هذه القصيدة تتضح ملامح الخير والشر. بعبارة أخرى هناك صراع بين الأخيار والأشرار في القصيدة وأثّر هذا الصراع على توظيف الكلمات والضمائر في القصيدة، إذ إن الشاعر أقبل إقبالًا واسعًا على استخدام ضمير «للغائبينَ» سواء كان بارزًا أو مستترًا كما قام بتوظيف ضمير «المخاطب» للإمام الحسين (ع). وفي هذا القسم نعالج تواتر ضمير «المخاطب»:

أعتذر منك السماح/ فيك الشّعر يختمر/ لم أكتُبْكَ مكرمةً/ وأنتَ للشّعر محرابٌ وملحمةٌ/ منك القوافي تأتزرُ/ فصار ذكرُك للأبطال مفخرةً/ ببال الله تَذَكَّرُ/ هم الأحفادُ وِقفَتُهُم تُبقيك حيًّا وفي الأكبادِ تُحتَفَرُ/ مِن قبل صوتِكَ صوتٌ كم علا وسما/ أراكَ في الساحة الكبرى كما بطلٌ/ وقفتَ بينَهم كالليث منتهِرًا/ وهَمُّك الدّين/ فَرُحتَ في قدِّك الممشوقِ تدحَرُهم/ يُمناك ترفَع سيفَ الحقّ/ ففي يُسراكَ ينشهر/ لا مابكيتَ ولا تُبكى/ لأنتَ كبيرٌ/ وذكراك التي حُفِرَتْ/ وأنتَ تبقى على الأيّام قاطبةً (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٦).

أمّا الضمير «للغائبينَ» فيأتي للأخيار أو للأشرار:

للأخيار: ماتوا/ ما صغروا/ هم الأبناء/ طلّتُهم/ زَهروا/ هم الأحفادُ/ وِقفتُهُم/ يعطوننا درسًا/ الأشراف نرجُمُهم/ أعمارَهم نذروا/ فُطِروا/ نُذِروا/ نُثِروا/ أقوامهم/ موتهم/ كبُروا/

للأشرار: عبروا/ أجمعهم/ لانوا/ دانوا/ خانوا/ ليتهم قُبروا/ باعوا ضمائرَهم/ باعوا البلادَ/ فعلوا/ هَدَروا/ ضمائرهم/ بينَهم/ هُم ذئابٌ/ أبصارُهُم/ أكبادُهُم حَسَدٌ/ آمَنوا/ جَحَدوا/ واعدوا/ نكروا/ يشغلُهمْ/ تَدحَرُهُم/ جاروا/ غَدروا/ صغروا/ مَكَروا/ هُم رمزٌ لمن كفروا (المصدر نفسه).

والأخيار هم الذين استشهدوا في سبيل الدفاع عن الحق وهم متّبعين نهج الإمام الحسين (ع) في الشهادة ويعلّموننا درس التضحية والدفاع. أما الأشرار فهم الخائنون الغدّارون الساكتون أمام الظلم وبائعو البلاد، حيث جمع الشاعر كلّ الصفات المذمومة لهم.

«للأسلوبية الإحصائية مزاياها؛ فهي لا تساهم في تحديد القرابة الأدبية وحسب، بل تعمل على تخليص ظاهرة الأسلوب من الحدس الخالص إلى حدس منهجي موجّه» (بليت، ١٩٩٩: ٦٠).

لاحظنا أن الضمير للمخاطب ــ أي الإمام الحسين (ع) ــ وردت ١٩ مرة في كلّ القصيدة وهذا يعني أن الشاعر خاطب الإمام الحسين (ع) وتحدّث معه في ثلث أبيات القصيدة ويمدح شجاعتَه وتضحيتَه في سبيل الحق معترفًا بخلوده عبر العصور.

وجاءت الضمير للغائبين فيما ينضوي تحتها الأخيار والأشرار، ٤٢ مرة، كأنّ الشاعر جعل كلَّ واحدٍ منهما في صفٍ ليمدح الأخيار بصفات نحو الشجاعة والإباءة والتضحية والعُلى، وفي صفّ آخر يجعل الأشرار ويذمّهم بالخيانة، والجبن والغدر والكفر.

٢.٤.٤ الكلمات الدالة على الشمولية

حينما نرى الشاعر يقوم بتوظيف مثل هذه الكلمات، يعني الكلمات التي تدلّ على الشمولية والجمع نحو: «كَم» و«كُل» يقترب هذا الحدس من الحدس المنهجي:

ثراك يا كربلاء كم لفّه عَبَقٌ/ في كلّ حبة رملٍ نلتقي بطلًا/ في كلّ طفلٍ حسينٌ صامدٌ أبدا/ كمْ حُمِّلَتْ من بلايا العُرْبِ أجمعِهم/ باتَ الجَنوبُ بكلّ الأرضِ مُعجزةً/ كَم ظالمٍ في بلادي اليومَ نَحمِلُه/ عنْ كلِّ ما فَعلوا ... أو كلّ ما هَدَروا/ في كلّ عصرٍ نرى الأقداسَ تُحْتَقَرُ/ من قبلِ صوتِك صوتٌ كم علا وسما/ أهل الظّلامة كم جاروا وكم غدروا/ تبقى دهورًا وكلّ الكون يندثر (الحاج، ٢٠٠٦: ١٤-٢٥).

فكلمة «كَم» سواءً تكون للخبر أو للاستفهام فمعناها التكثير ويكون هذا دليلًا على تكثير الشاعر للقضية التي يتطرّق إليها على سبيل المثال حينما يريد أن ينتقد خيانة العمّلاء يكثّرهم معتقدًا بأنّهم لم يخونوا الشعبين الفلسطيني واللبناني مرة واحدة إنّما غدروهم

وحقّروهم مرّات عديدة، أو حينما يريد أن يمدح الأخيار يُعَظّمهم ويعتقد بأنّهم لم يزالـــوا ولا يزالون يحاربون من أجل الحق ويضحّون بأنفسهم لينقذوا المجتمع من الجهل والظلام.

٣.٤.٤ جموع القلة والكثرة

جموع القلة: أبطال/ أطفال/ أنداء/ أرياح/ أبناء (٢)/ أصداء/ أوداء/ أحفاد/ أكباد (٢)/ أكُفّ/ أيّام (٢)/ أقداس (٣)/ أشراف/ أحكام/ أعمار/ أبصار/ أحداق/ أقوام.

جموع الكثرة: سنون/ قِيَم/ المعالي/ القوافي/ الأيادي/ فُلول/ دموع/ تُرْب (٢)/ رياح/ بلاد (٣)/ زُمَر/ بلايا/ بُسَّل/ جيوش/ البُطْل/ بِطاح/ بُدور/ رُسُل/ كُثُر/ ضمائر/ الليالي/ رجال/ عطاش/ نفوس/ أُباة/ ذئاب/ كواسر/ رِحال/ كبار/ نجوم/ حسّاد/ دروب/ دهور/ قِمَم/ حكّام.

قد يكون السبب من توظيف هذه الألفاظ التي تدل على الجمع والشمولية هو تقابل بين الظلم والطغيان والثورة والحرّية وأينما يكون الظلم والطغيان في أنحاء المعمورة يكون هناك ثوّار على الظلم كما يكون في المقابل العملاء الخونة، ونرى هذا الأمر بوضوح من خلال قصيدة الحسين (ع) لجورج زكي الحاج. فمنهم الذين يريدون الحق مثل الإمام الحسين (ع) وأنصاره ومنهم من باعوا ضمائرهم على حد تعبير الشاعر نحو يزيد في الماضي والعمّلاء العرب في الحاضر.

٤.٤.٤ تكرار بعض المفردات في القصيدة

«التكرار يسلّط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى، ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلّل نفسية كاتبه» (الملائكة، ١٩٦٧: ٢٤٢).

عندما تعبر عينُك أبيات الشاعر جورج زكي الحاج يُدرك نظرُك الثاقب أنَّ هناك بعض المفردات طغت على الأخرى وليس همّ الشاعر تجميع هذه المفردات بل توظيفهـــا في مـــا يناسب المضمون الشعري العام. كما أشرنا في غير هذا الموضع تتحمور هـــذه القصـــيدة حول ثورة عاشوراء وحادثة كربلاء وما يكون من العلاقة بينها وبين القضايا الحاليـــة في فلسطين ولبنان مثل المقاومة أمام الكيان الصهيوني.

من معالم هذا التوظيف للمفردات الخاصة يمكننا أن نشير إلى كلمة **أرض** وما يتعلق بها، حيث كرّر الشاعر هذه الكلمة **١٣** مرة في هذه القصيدة:

ثَراكَ يا كربلاء/ في كلّ حبّة رملٍ نلتقي بطلًا/ أرضُ الكرامات لَم يخمدْ لها سَعَرُ/ واليومَ يسقي الثَّرى/ إنْ يُمسكِ التُّربَ يصبحْ ترابُه ذهبًا/ مِن أرض لبنان/ رياحُ الظُّلمِ إن لفحتْ أرضَ الهدى/ والأرضُ عادتْ لَنا عاشتْ مقاومةٌ/ باتَ الجَنوبِ بكلّ الأرض مُعجزةً/ والرّيحُ تعزفُ لحنَ الموتِ هائمةً فوقَ الرِّمال/ والأرضُ تَهتِف باسم اللهِ/ لمّا هوى جسدٌ فوقَ الثَّرى نَضِرُ (الحاج، ٢٠٠٦: ١٤-٢٣).

وهذه المفردات تدلّ على أن للأرض دلالة خاصة في هذه القصيدة وأرض كربلاء ولبنان وفلسطين كلّها يعيش فيها الأحرار، وقد تدلّ هذه الكلمة على احتلال الأراضي الفلسطينية كما تدل على الدفاع عن أرض لبنان التي كانت تحت احتلال الصهاينة منذ زمن طويل و تحررت أخيراً بمقاومة أحرار جنوب لبنان وأشار إليها الشاعر بعبارة «الأرض عادت لنا».

«وعندما يتصور الأسلوب على أنه محصلة معدلات تكرار الوحدات اللغوية القابل للتحديد الشكلي في صياغة النص فإن هذه الوحدات يمكن بطبيعة الحال إحصاؤها وإخضاعها لعمليات رياضية دقيقة ويتجه كثير من الدراسات الأسلوبية إلى تحليل العلاقة بين المفردات ومعدلات تكرارها» (فضل، ١٩٩٨: ٢٦٦).

ومن المفردات التي تكررت في هذه القصيدة بشكل لافت كلمة **بطل** ومعانيها:

فصارَ ذكرُكَ للأبطالِ مَفخَرَةً/ في كلّ حبّة رملٍ نلتقي بطلًا/ أبناؤُها بُسَّلٌ ماتوا وما صغروا/ أمّا البُطولاتُ فهي الزَّهرُ والثَّمَرُ/ ما مَن يحاربه إلّا الأُباةُ/ أراكَ في السّاحة الكبرى كما بَطلٌ/ وقَفتَ بينَهم كالليثِ مُنتَهرًا/ أسمى البُطولاتِ باسمِ الحقِّ تُختَصَرُ/ تَبقى القداسةُ بنتَ النّاسِ، يَحمِلُها شعبٌ أبيٌّ (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٦).

كما أشرنا في غير هذا الموضع الشجاعة والبطولة من الصفات التي أقبل عليها الشاعر في هذه القصيدة إذ تواترت هذه الكلمة **٩** مرات ضمن الأشعار التي يتحدّث الشاعر من خلالها عن الشجاعة والبطولة، والجدير بالذّكر أن هذا الوصف لا يختصّ بالإمام الحسين (ع)

فحسب، بل يوظّفه الشاعر للشعوب المقاومين خاصة الشباب الذين يقاومون أمام الكيان الصهيوني في لبنان وفلسطين.

٥. النتائج

النتائج التي تتوصل إليها هذه الدراسة هي:

١. في المستوى الصوتي تدل كثرة الأصوات المجهورة والشديدة على موضوع القصيدة وهو الثورة ومكافحة الظلم وهذا ما يناسب الجو الملحمي للقصيدة كما تناسب هذه الأصوات دعوة الشّاعر المظلومين للثّورة على الظلم والدفاع عن الوطن كما يذمّ العملاء العرب وخونتها للسكوت أمام الاحتلال، تصديقًا على ذلك رويُّ القصيدة يعني «الراء» التي من الأصوات المجهورة. تواتر بعض الأصوات نحو: «ا ب ت ر ك ل م ن ي ه» يُكوِّن لعبة بالأحرف ومن ذلك تكرار الحروف التي توجد في عنوان القصيدة «يا ابن الكرام» وكذلك الكلمات المفتاحية للقصيدة نحو «كربلاء» و«لبنان»؛

٢. في المستوى التركيبي نلاحظ توظيفًا كثيفًا للجمل الاسمية والشاعر من خلال هذه الجمل يتحدّث عن ثبوت الظلم واستمراره في كل عصر وفي كل مجتمع، كما يمدح الأحرار والثّوار في مواجهة الظلم. معظم الأفعال الموظّفه في هذه القصيدة هي المضارعة ويدل هذا على أن الشّاعر ترك الماضي ويعيش في الحاضر ومأساة كربلاء في الواقع هي التي تجري اليوم في فلسطين ولبنان. ويخاطب الشاعر الإمام الحسين (ع) بين الفينة والفينة من خلال هذه الأفعال المضارعة، دلالةً على خلود الإمام وحضوره في قلب الشاعر. الشاعر نادى «كربلاء» ثلاث مرات والإمام الحسين (ع) سبع مرات في القصيدة وهذا النداء ليس لخلود الإمام ومأساة كربلاء فحسب بل لإلقاء قضية كربلاء في ذهن المخاطبين الأحرار ودعوتهم لاستلهام النهضة الحسينية؛

٣. بالنسبة إلى المستوى البلاغي فقمنا بدراسة الظواهر الثلاثة. واحد منها من مباحث علم البديع وهو الطباق والآخران من مباحث علم البيان وهما الاستعارة والتشبيه. لا يمكن غض النظر عن الطّباق في هذه القصيدة لأنه تواتر ١٤ مرة ضمن الأبيات. إضافة إلى إيتاء

الجمال والروعة للأبيات، الدلالة التي تكمن وراء هذه الظاهرة هي التقابل بين الأخيار والأشرار في القصيدة. تواتر الاستعارة ٧ مرات والتشبيه ٥ مرّات ولهما تأثير كبير في المتلقّي حيث يتحدّث الشاعر عن البطولة والثورة أمام الظلم وخاصة المقاومة أمام الكيان الصهيوني، إضافة إلى الجمال الذي تُعطي كل واحدة منهما للنص الشعري؛

٤. استخدام الضمائر يمكننا أن نعالجها في المستوى الصرفي؛ سواء كانت للغائبين (٤٢ مرة) وسواء كانت للمخاطب (١٩ مرة). أما الغائبين فإمّا للأخيار وإمّا للأشرار ونلاحظ الصراع بينهما عند الشاعر، كما نلاحظ ضمير المخاطب لمخاطبة الإمام الحسين (ع). توظيف الكلمات التي تدل على الجمع والشمولية نحو «كم وكل» وكذلك توظيف جموع القلة والكثرة تدلّ على الكثرة والشمولية في القصيدة، سواء كانت الشمولية للظلم وسواء كانت لثورة الإمام الحسين (ع) بين الناس. أخيرًا نلاحظ ملامح التكرار لبعض المفردات التي ركّز عليها الشاعر في شعره ومن ذلك كلمتي البطل والأرض. الأرض تدلّ على الاحتلال الصهيوني وكلمة البطل تدلّ على الأبطال الذين يقاومون أمامه.

المصادر

أنيس، ابراهيم (د.ت). *الأصوات اللغوية*، مصر: نهضة مصر.

بشر، كمال (٢٠٠٠ م). *علم الأصوات*، القاهرة: دار غريب.

بليت، هنريتش (١٩٩٩ م). *البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص*، مترجم: محمد العمري، المغرب: أفريقيا الشرق.

جبر، محمد عبدالله (١٩٨٨ م). *الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية*، الاسكندرية: دار الدعوة.

الجرجاني، عبدالقاهر (د.ت). *أسرار البلاغة*، تعليق محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني.

جيرو، بير (١٩٩٤ م). *الأسلوبية*، ترجمة: منذر عياشي، حلب: دار الحاسوب للطباعة.

الحاج، جورج زكي (٢٠٠٦ م). *قصيدة الحسين (ع) يا ابن الكرام*، دون ناشر.

حسان، تمام (١٩٩٤ م). *اللغة العربية معناها ومبناها*، المغرب: دار الثقافة.

الخفاجي، محمد عبدالمنعم وآخرون (١٩٩٢ م). *الأسلوبية والبيان العربي*، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

درويش، أحمد (د.ت). *دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث*، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
زميزم، سعيد (۲۰۱۲ م). *الإمام الحسين (ع) في الشعر المسيحي*، بيروت: دارالجوادين.
السامرائي، فاضل صالح (۲۰۰۰ م). *الجملة العربية والمعنى*، بيروت: دار ابن حزم.
عبداللطيف، محمد حماسة (۲۰۰۰ م). *النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي ـــ الدلالي*، القاهرة: دارالشروق.
عبدالمطلب، محمد (۱۹۹٤ م). *البلاغة والأسلوبية*، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
علّام، عبد المعطي غريب (۱۹۹۷ م). *دراسات في البلاغة العربية*، بنغازي: جامعة قاريونس.
فضل، صلاح (۱۹۹۸ م). *علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته*، القاهرة: دار الشروق.
المسدّي، عبدالسلام (۱۹۸۲ م). *الأسلوبية والأسلوب*، الدار العربية للكتاب.
مصلوح، سعد (۱۹۹۲ م). *الأسلوب*، القاهرة: عالم الكتب.
الملائكة، نازك (۱۹٦۷ م). *قضايا الشعر المعاصر*، بيروت: دار العلم للملايين.
الهاشمي، السيّد أحمد (د.ت). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، بيروت: المكتبة العصرية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی